صورة الارملة
في المجتمع العراقي القديم

أ.م. د. سجى مؤيد عبد اللطيف
جامعة بغداد/كلية الآداب/قسم الاثار

صورة الارملة
في المجتمع العراقي القديم

أ.م. د. سجى مؤيد عبد اللطيف
جامعة بغداد/كلية الآداب/قسم الاثار

الأَرْمَلَةُ المرأة التي لا زوج لها ، ويقال أَرْمَلَتِ المرأة عندما يموت عنها زوجها مع ذهاب زادها وفقد كاسبها ، و أرمل الرجل إذا ذهب زاده وكذلك أفتقر، وفي حديث أم معبد (أن رسول الله وأصحابه طلبوا منها لحماً وخبزاً ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك وكان القوم مُرَمِلينَ مُشتين) [١]، وبهذه الدلالة يؤدي الرمل الى الجدب والعوز. ورجل ارمل و أمراءه ارملة : محتاجة ، وهم الارملة والارامل والارامله ، وكل جماعة من الرجال دون نساء او النساء دون رجال ارملة، بعد ان يكونوا محتاجين ، ويقال للفقير الذي لا يقدر على شيء من رجل او امراءه ارملة ، والارامل المساكين، والارمل عند البعض الذي ماتت زوجته ، والارملة التي مات زوجها وسواء كانا اغنياء او فقراء.[٢]

وترد الارملة باللغة السومرية بالمصطلح : nu-kuš2-u3 او بالمصطلح nu-ma-su يقابلهما باللغة الاكدية almattu ، والارملة في اللغات العراقية القديمة ليست تلك التي فقد زوجها بل التي ليس لها معيلا من اب او زوج او ابن بالغ ولها الحرية عند ذلك في اختيار المهنة او في عقد الزواج الثاني ، وقد كان ظهور المصطلح ابتداء منذ العصور السومرية المبكرة وتواصل استعماله في العصور اللاحقة[٣].

ورد مصطلح الارملة مع اليتيم متلازما منذ عصور فجر السلالات وتحديدا في نصوص واصلاحات اخر ملوك لكش: (أوروكاجينا)، الذي كان

آنذاك أحد كتبة المعابد قبل ان يكون قائدا لثورة ، ونتيجة لانتمائه الطبقي لعامة الناس ، جعله يحس بمعاناة أبناء شعبه ويستشعر آلامهم... وقد وضع هذا المُصلح بعد انتصار الثورة وتوليه الحكم اصلاحات اجتماعية تعتبر بواكير التشريعات القانونية في التاريخ، ذكر في مقدمتها.. **(منذ الآن لن يطأ الكاهن أرض البستان.. منذ الآن لن يقتلع الكاهن شجرة الفلاح أو ينهب ثمارها)، (منذ الآن لن يُسلم الارملة واليتيم والضعيف الى الحاكم والقوي، والفقير الى الغني والكاهن)، (سيكون بيت الفقير بجانب بيت الغني)**، كما ذكر هذا المصلح لأول مرة في التاريخ كلمة (الحرية) التي تقرأ في السومرية (أماركّي) حيث ورد (أن الحرية ستكون لكل فرد في لكَش)...ومن هنا ورد مصطلح الارملة مثلما ظهر اول اهتمام بها وبأولادها الايتام من خلال اول اصلاحات في العالم القديم التي عرفت بإصلاحات اروكاجينا .[٤]

وقد استمر الاهتمام بالأرملة وابنائها لأغلب القوانين عبر عصور التأريخ العراقي القديم منذ اول القوانين المتمثلة بقانون اورنمو السومري حيث ورد ذكر الارملة التي لها نصف ما للمرأة البكر اذا ما طلقها زوجها ، اوان لايكون لها شيئا اذا ما طلقها بدون عقد اصولي من خلال احد المواد القانونية التي جاءت بها [٥]:

"اذا طلق رجل زوجته(التي كانت ارملة قبل زواجها منه)، عليه ان يدفع (لها) ٣٠ شيقل من الفضة" (المادة العاشرة من القانون)

"واذا عاشر الارملة بدون عقد زواج اصولي فلا يحتاج ان يدفع لها شيئا على الاطلاق" (المادة الحادية عشر)

وكان الاعتناء بالأرملة وبحقوق الابناء واضحا في اهم القوانين المتمثلة بقانون حمورابي كما جاء في احد المواد القانونية بالشكل الاتي [٦] :

"إذا قررت ارملة ولايزال ابناؤها صغارا ، الدخول الى بيت(رجل) ثان، فلا (يحق) لها الدخول دون (علم) القضاة ، وعندما تدخل بيت الرجل الثاني ، فعلى القضاة ان يدرسوا وضعية بيت زوجها السابق ويعهدوا (بمسؤولة) بيت زوجها السابق الى تلك المرأة وزوجها الاخير اي الثاني ، ويطلبوا منهما ان يتركا رقيما (يتعهدان) فيه بالمحافظة على البيت وتربية الاطفال الصغار ، ولا (يحق) لهما بيع حاجيات البيت مقابل نقودا ، والمشتري الذي يشتري حاجيات ابناء الارملة ، يخسر نقوده وتعاد الحاجيات الى اصحابها" (المادة ١٧٧ من قانون حمورابي)

وقد ختم حمورابي قوانينه بذكر العديد من الاسس القانونية المهمة ومنها جاء ذكر الاعتناء باليتيم والارملة من لدنه بالشكل الاتي[٧]:

" ولكي ترعى العدالة اليتيم والارملة ، كتبت (انا حمورابي) كلماتي النفيسة على مسلتي"

من هذا يتضح اهمية اليتيم والارملة في المجتمع العراقي القديم بحيث يهتم الحكام القدماء على ذكره والفخر بذلك .

وجاء ذكر الارملة كثيرا في القوانين الاشورية بالشكل الاتي [٨]:

" اذا دخلت ارملة بيت رجل(اخر) وهي تحمل طفلا صغيرا . وتربى هذا الطفل في بيت زوجها دون ان يتبناه ، فلا يرث هذا (الطفل) زوجها ولا يكون مسؤولا عن ديونه ،ولكنه يأخذ حصته من البيت الذي تربى فيه" (المادة ٢٨ من قوانين العهد الاشوري الوسيط)

"اذا كانت امرأة لاتزال تعيش في بيت والدها ولها اولاد ومات زوجها فلها ان تسكن في أي بيت نختاره مما يملكه (زوجها او والدها) . اذا لم يكن لها اولاد فلوالد زوجها الحق في ان يزوجها لأي ولد يختاره من بين اولاده....او اذا

وافق والد زوجها ، اما اذا كان الزوج والعم ميتين ولم يكن لها اولاد ، فتصبح (في هذه الحالة) ارملة ولها الحق ان تذهب اينما تشاء." (المادة ٣٣)
"اذا عاشر رجل ارملة من دون عقد زواج ، وعاشت في بيته لمدة سنتين ، (ففي هذه الحالة) تصبح زوجة ولا يجوز طردها " (المادة ٣٤)
" اذا دخلت ارملة بيت رجل (لتعيش معه) فكل شيء تجلبه (معها يصبح) ملكا لزوجها . اما اذا دخل رجل (بيت) امرأة (ليعيش معها) فكل شيء يجلبه (معه يصبح) ملكا للمرأة . (المادة ٣٥)
" لا يجوز لأمرأه متزوجة كانت ام ارملة ام اشورية ان تخرج الى الشارع العام دون غطاء على رأسها....."[٩]

من هذا يتضح اهمية الارملة في المجتمع العراقي القديم لهذا كانت محل اهتمام الالهة مثل انانا التي تنشر العدل بين رعاياها وترعى اليتيم والارملة مثلما تفعل الالهة نانشة، وكذلك الحكام القدماء وعلى رأسهم اروانمكينا وكوديا واورنمو واشمي داكان وغيرهم من الحكام ، وقد جاء ذلك في جميع الكتابات الادبية والتاريخية والقانونية ، في حين لم يرد ذكر الارملة واليتيم في النصوص الادارية او الاقتصادية الا قليلا ، ولكن زخرت النصوص الادبية والامثال بذكرهما ، فكانت الارامل مثالا للضعف والعوز مع اطفالها الايتام لهذا فقد كانت محل اهتمام الالهة ، فضلا عن الملوك والحكام العادلين، ونجد هذه الصورة متواصلة الى يومنا هذا ، وبالإمكان تتبع اهمية دور الارملة مع الالهة في الادبيات السومرية الاتية:

<u>اغنية انانا و دموزي</u>[١٠]

"نباتاتي(نباتات انانا) ، زرعي ، ربما اغنامي تأكل دعمي لليتيم ، ومساندتي للأرملة"

ترتيلة نانشة[١١]

"انها ترعى اليتيم والارملة"

اما في كتابات الملوك مثل كوديا كما في النص الاتي:[١٢]

"بدأ(كوديا) بنشر عدالة نانشة و ننكرسو ، عندما جهز الحماية لليتيم ضد الغني ، وجهز الحماية للأرملة ضد القوي"

وفي كتابات شولكي كما جاء في رسائله :[١٣]

"امنحني زوجتي وامسك يداي ! انا ابن الارملة "

وهنا يفتخر شولكي بانه ابنا لأرملة.

اما في كتابات الملك اشمي داكان يمكن ان نلاحظ اهتمامه بالأرامل من خلال ترنيمة اشمي داكان[١٤]:

"لدي مجرمي الثورة والعصيان.....احتملت توسلات العبيد ، الزوجات والارامل اللواتي يصيحون وا حسرتاه اوتو ! او وا حسرتاه نانا ."

اما بالنسبة للأدبيات فقد جاءت الارملة رمزا للعوز والضعف كما جاء في ادبية " انكي وننخرساك" عند وصف جنة عدن وهي تخلو من الارامل والايتام دليلا على خلو الجنة من أي حالة غير مناسبة للخلود الابدي المتمثل بالجنة[١٥]:

" عندما كان العالم حديثا... كان الغراب لا ينعب . لم يكن طائر الموت يطلق صرخة الموت " نعيب الغراب " . لم يكن الأسد يفترس، وكان الذئب لا يمزق الحمل، لم تكن الحمامة تشجو حزينة. لم تكن هناك أرملة ولا شيخوخة ولا بكاء وأحزان . "

وفي مقطع اخر:

"عندما نشرت الارملة شعير الجعة فوق السقف، فأن الطيور لم تأكل من شعير الجعة ، والحمامة لم تغطي الرأس تحت اجنحتها"

وتتكرر الصورة في الادبية السومرية "كلكامش وخواوا" بالشكل"(١٦):

"بينما كان يقطع انكيدو اخشاب الارز ، واولاد الارملة كانوا يكدسونها ، بسبب....خواوا كانت قد افزعت في عرينها من قبل كلكامش ،عندما بدأ يسلط الفزع عليها"

وجميع هذه الصور تظهر الضعف للأرملة وابنائها.

ويأتي ارتباط صورة الارملة بالحاجة والعوز التي يقوم على مساعدتها حتى الشجر والنخل في كثير من الادبيات مثل مناظرة الشجرتين "النخلة والاثل" بتعداد فوائد كل منهما حيث تذكر النخلة انها غذاء العبد والسيد الفقير والغني والطفل والبالغ والمرأة الارملة والفتاة اليتيمة ، كلهم يأكلون من ثمار النخلة بلا قيد ، وأنها . أي النخلة . المطهر الرئيس والمقدس للمعبد وانها المنتج الرئيس للخيوط وناسج ملابس الجنود وانها صانعة الخمر والجعة .

تتعدد صور عوز وضعف الارملة وحالتها في النصوص الادبية لتصبح محل تصدق الميسورين احيانا عليها وهكذا تتكرر الصور في جميع الكتابات الادبية

وكذلك في الادبية السومرية "كلكامش وثور السماء" بالشكل الاتي:(١٧)

"وبينما كان يتحدث، اودع جلدها في الشوارع، واودع الامعاء في ساحة واسعة، وأبناء الأرامل مدينته سيأخذ كل نصيبه من اللحوم في سلال. انه مودع الذبيحة للقصاب و..، وتحولت لها قرنان في قوارير لتصب الزيت على ما يرام لإنانا في E–انا"

وفي "مناظرة الفأس والمحراث" السومرية (١٨):

"الايتام والارامل والمعوزين يأخذوا سلالهم القصبية ، ويستخلصون اذني المتبعثرة "

وقد تكررت الصورة في كثير من الادبيات ، فضلا عن الحالة الاجتماعية التي يولده الترمل كما وجدناه في ادبية موت اورنمو وهو يصف زوجته من بعده كيف تصبح ثكلى تقضي يومها بالدموع و المراثي الحزينة، كما في ادبية "موت اورنمو" (١٩):

"يا حسرتاه زوجتي اصبحت ارملة ؟ اصبحت تقضي يومها بالدموع و المراثي الحزينة "

وفي النتيجة نخلص الى ان الارملة كانت محض اهتمام الالهة والملوك وشرائح كثيرة من المجتمع العراقي القديم وكذلك ابنائها ، وهذا نتيجة احساسهم بالضعيف ومحاولتهم انصافه من القوي ، وان كان لا يحدث هذا دائما وفي جميع الاحوال مع جميع الشرائح ولكنه المهم انها الارملة احيانا كانت تجد من ينصفها من القوي في تلك الحضارة الاصيلة من العراق القديم .

الهوامش والملاحظات

[١] المشتون الداخلون في الشتاء والشتاء عند العرب وقت الجَدَبِ .

[٢] لسان العرب،ج١١،ص ٢٩٦ –٢٩٧

[3] CAD,A2,pp.362-364

[٤] فوزي رشيد، ترجمات لنصوص ملكية سومرية، مستلة غير منشورة ، ص ٥٠

[5] Roth M. T. ,Law collections from Mesopotamia and Asia Minor, second edition ,Atlanta , Georgia,1997,p.18

[6] Ibid.,p. 116

[7] Ibid.,p. 169

[8] Ibid.,p. 165

[9] Ibid.,p. 167

[10] Sefati, Yitschak. 1998. Love songs in Sumerian literature: critical edition of the Dumuzi-Inanna songs. Bar-Ilan Studies in Near Eastern Languages and Culture. Publications of the Samuel N. Kramer Institute of Assyriology. Ramat-Gan: Bar-Ilan University Press., p. 260-266

[11] Alster, Bendt. 1974a. The Instructions of Suruppak. Mesopotamia. Copenhagen Studies in Assyriology 10. Copenhagen: Akademisk Forlag.

[12] Edzard, Dietz Otto. 1997. Gudea and His Dynasty. The Royal Inscriptions of Mesopotamia. Early Periods 3, 1. Toronto/Buffalo/London: University of Toronto Press,pp. 68-101

[13] Ali, Fadhil A. 1964. Sumerian Letters: Two Collections from the Old Babylonian Schools. Philadelphia: University of Pennsylvania., p. 53-62

[14] Frayne, Douglas R. 1998. "New Light on the Reign of Išme-Dagān". In Zeitschrift für Assyriologie 88, pp. 6-44.

[15] Attinger, Pascal. 1984a. "Remarques a propos de la "Malédiction d'Accad"". In Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale 78.pp. 99-121.

[16] Edzard, Dietz Otto. 1990. "Gilgameš und Huwawa A. I. Teil". In Zeitschrift für Assyriologie 2, 80, pp.165-203.

[17] Cavigneaux, Antoine and Al-Rawi, Farouk N.H. 1993. "Gilgameš et Taureau de Ciel (šul-mè-kam) (Textes de Tell Haddad IV)". In Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale 2, 87 I-III. Paris, pp. 97-129

[18] Bottéro, Jean. 1991. "La "tenson" et la réflexion sur les choses en Mésopotamie". In Dispute Poems and Dialogues in the Ancient and Medieval Near East. Orientalia

Lovaniensia Analecta 42. Reinink, G. and Vanstiphout, Herman L.J. (ed). Leuven: Peeters, pp. 7-22

[19]Castellino, G. 1957. "Urnammu. Three Religious Texts". In Zeitschrift für Assyriologie 52,pp. 1-57.

المصادر العربية والاجنبية

المصادر العربية:

١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، بيروت – ١٩٥٦.

المصادر الاجنبية:

1- Ali, Fadhil A. 1964. Sumerian Letters: Two Collections from the Old Babylonian Schools. Philadelphia: University of Pennsylvania.

2- Alster, Bendt. 1974a. The Instructions of Suruppak. Mesopotamia. Copenhagen Studies in Assyriology 10. Copenhagen: Akademisk Forlag

3- Alster, Bendt. 1997. "Sumerian Canonical Compositions. C. Individual Focus. 1. Proverbs". In The Context of Scripture, I: Canonical Compositions from the Biblical World. Hallo, William W. (ed). Leiden/New York/Köln: Brill. 563-568

4- Alster, Bendt. 1997a. Proverbs of Ancient Sumer: The World's Earliest Proverb Collections. Bethesda, MD: CDL Press

5- Attinger, Pascal. 1984a. "Remarques a propos de la "Malédiction d'Accad"". In Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale 78. 99-121

6- Bottéro, Jean. 1991. "La "tenson" et la réflexion sur les choses en Mésopotamie". In Dispute Poems and Dialogues in the Ancient and Medieval Near East. Orientalia Lovaniensia Analecta 42. Reinink, G. and Vanstiphout, Herman L.J. (ed). Leuven: Peeters. 7-22

7- CAD : The Assyrian Dictionary of the University of Chicago (Chicago 1956 ff.)

8- Castellino, G. 1957. "Urnammu. Three Religious Texts". In Zeitschrift für Assyriologie 52. 1-57.

9- Cavigneaux, Antoine and Al-Rawi, Farouk N.H. 1993. "Gilgameš et Taureau de Ciel (šul-mè-kam) (Textes de Tell Haddad IV)". In Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale 2, 87 I-III. Paris 97-129

10- Cavigneaux, Antoine and Al-Rawi, Farouk N.H. 2000a. "La fin de Gilgameš, Enkidu et les Enfres

d'après les manuscrits d'Ur et de Meturan (Textes de Tell Haddad VIII)". In Iraq 62. in press

11- Civil, Miguel. 1994. The Farmer's Instructions. A Sumerian Agricultural Manual. Aula Orientalis Supplementa 5. Sabadell: Editorial Ausa

12- Edzard, Dietz Otto. 1990. "Gilgameš und Huwawa A. I. Teil". In Zeitschrift für Assyriologie 2, 80. 165-203

13- Edzard, Dietz Otto. 1997. Gudea and His Dynasty. The Royal Inscriptions of Mesopotamia. Early Periods 3, 1. Toronto/Buffalo/London: University of Toronto Press.

14- Frayne, Douglas R. 1998. "New Light on the Reign of Išme-Dagān". In Zeitschrift für Assyriologie 88. 6-44

15- Roth M. T. ,Law collections from Mesopotamia and Asia Minor, second edition ,Atlanta , Georgia,1997

16- Sefati, Yitschak. 1998. Love songs in Sumerian literature: critical edition of the Dumuzi-Inanna songs. Bar-Ilan Studies in Near Eastern Languages and Culture. Publications of the Samuel N. Kramer Institute of Assyriology. Ramat-Gan: Bar-Ilan University Press.